لا ابدان وان يجد لهم عن الاهل والنجم والبلاء وتقوية لقلوبهم وتعريفا للسوابغ نعم الله تعالى
والخطار اليوالي النعم وتنبيها على لطايف الكلم في هيراج الوبيلا والتبشير وتعنيبا
في الاخرة والصبر وتفضيلا لطريق اهل البلاء الذين هم الامثل فالامثل بالانبياء فيجاء
فيه لهم تفضيل المبتلى الصابر على بلايه رضا بحكم مولاه وتسليما لقضايه على المنعم عليه
الشاكر على نعمايه اذ النعم ملايمة للطبع موافقة للنفس لا يحتاج معها الى مجاهدتها
ولا حملها على المشقة بخلاف الرضى بالبلاء فانه مناف للطبع فلا بد فيه من النفس
يحتاج الى حملها عليه ومشقة فيه وما لهي هذه النفس بهذا قبيم وابطل ولا سبيل
اليه الا بسكينة من الله تعالى وبصبر عليه بقوة منه عز وجل وعناية منه وايضا
فقد جاء في جزاء وكم بقيمة اجر وكم جا الابتلاء به فمنها وما البلاء هذا به منه بما عظم
ما ابتلانا به فجنبنا لها وابتلاء وهل بعد ادركنا من افضل ممن صبر على مجاهرة عدوه
على انه مع ذلك لهم عز له منازع الصفات الربوبية وقد استراله ممن ابتلى
بعدا وذلك وابتلانا بمحبته وانه في ذلك لاتزال محبة الله تعالى وتنصر على عدوانه بدوام
مجاهدته ثم رضاه الله بهذا اعدل العدل وافضل الفضل ولا قوة الا بالله وهذا صبر في
الا بالله تعالى واخر مقام الصبر

شرح مقام الشكر واوصاف الشاكرين

قال الله جل جلاله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم فقرن الشكر بالايمان ورفع
بوجودهما العذاب والهوان وقال سبحانه تعالى وسنجزي الشاكرين وورد في الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر وقال ابن مسعود
الشكر نصف الايمان وقد امر الله تعالى بالشكر وقرنه الى الذكر في قوله تعالى فاذكروني
اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقد عظم الله تعالى شان الذكر بقوله ولذكر الله
اكبر فصار الشكر اكبر لاقترانه به ورضى الشكر جزاء من عباده لم يطلب غيره لانه
قوله تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي خرج في لفظ الجزاء ان التحقيق الامر وتعظيم
الشكر لان الفعل كالشرط والجزاء والكاف المتقدمة للتمثيل فقوله اذكروني متصل بقوله
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني واشكروا لي والمعنى كمثل ما ارسلنا فيكم
رسولا منكم فاشكروا لي والعرب يكتفي من مثل بالكاف كما اكتفت من سوف بالسين
في قوله تعالى سنوتيهم وسنستدرجهم ومثلا تفضيل الشكر عظيم لا يعلمه الا العلماء
بالله تعالى وقد روينا في اخبار ايوب عليه السلام ان الله سبحانه اوحى اليه
اني رضيت بالشكر مكافأة من اوليائي في كلام طويل وفي اخبار الوحي من قوله عز وجل
لاقعدن لهم صراطك المستقيم والطريق الشكر ولولا ان الشكر طريق قريب يوصل الى الله

تعالى لما عول العدو على قطعه ولولا ان الشاكر حبيب رب العالمين ما نقصه ابليس اللعين
في قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين وكذلك قال وقليل من عبادي الشكور لما قال ولقد صدق عليهم
عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر
الشكر ولم يستثن فيه فاستثنى في خمسة اشياء في الاغناء والاجابة والرزق
والمغفرة والتوبة وقال فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما
تدعون اليه ان شاء وقال يرزق من يشاء ويغفر لمن يشاء وقال ويتوب الله
من بعد ذلك على من يشاء وختم بالمزيد عند الشكر من غير استثناء فقال تعالى لئن
شكرتم لازيدنكم فالشاكر على مزيد والشكور في مقام المزيد وهو الذي يكثر شكره
على القليل من العطاء ويكثر منه الشكر والثناء على الكثير من النعم وهذا خلق
من اخلاق الربوبية لانه سمى باسم من اسمائه والذي يشهد ان المنعم يجعله ما اشتاء
فالوصف الذي يستحق اليقين ومشاهدة الصفات والاول الذي يشهد النعمة انها من المنعم
فهاهنا عيشهما ولا قوة الا به عز وجل واوسع المزيد وافضل وتتابعه الخدمة والانس
والاستعمال وقد يكون المزيد احوالا قد يكون علوما وقد يكون في الاخرة وتثبيتا
عند مراقي الكرامات وقد جعل الله تعالى الشكر مفتاح كلام اهل الجنة وختام تقيتهم
في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين فلولا انه احب الاعمال اليه ما بقا عليهم لربه وروينا في مناجاة
ايوب عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه انه اخلقوها في صفة الصابرين
رضيتها لهم دار السلام وان الله تعالى الهمهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استمتع
استمتع بالنعم وبالنطق الى ازيدهم وهذا غاية الفضل فاول الشكر معرفة النعم انها
من المولى وحده لا شريك له فيها ولا ظهير له عليها اذ قد نفى ذلك عن نفسه لانه هو
الاول في كل شيء لا شيء معه ولا ظهير له في شيء اذ قد جعل الضراء والسراء منه
واليه جاريين على عباده فقال تعالى وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير
الشرك الخلط والظهير المعين ثم قال وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجأرون وقال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير
فهو على كل شيء قدير وقال في جمل النعم بعد اضافتها اليه وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وقال الله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فما حسبك
مع حقيقة والاوساط معرفتها الذي هي حكمة المنعم والكلام وطرق العطاء وانذار
المعطى لا توزن في الحكم به والحجة الحاجة ولا يجعلها بعينه الاحكم ولا يجعل الانسان
محكوما بتبيعة حكم ومعمولات وكيف تجعل احكم الا الله وحده ولا شريك في حكمه احدا
وهذا الحرف في مقام اهل الشكر ابلغ وذكر لانه يحتج على الامر لانهم فراق بالتدويم
الكلاب ولا يبشر في حكمه احدا بالاسباب احكام حق واوسع حكمة بمشاهدة المنعم

Copyright © King Saud University